العمل الخيري مقصداً عاماً للشريعة الإسلامية

إعداد

سعاد الشارف امبارك عيسىٰ

عضو هيئة التدريس في كلية التربية

بِسْمِ اللهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

ملخص البحث

الحمد لله وكفىٰ، والصلاة والسلام علىٰ نبيه الذي اصطفىٰ، وعلىٰ آله وصحبه وسلم تسليما كثيرا، أمَّا بعد:فإن العمل الخيري ضرورة شرعية؛ لرعايته للفرد والأسرة والمجتمع، وسعيه إلىٰ تحسين الظروف الحياتية في المحن والأزمات؛ ولذا هدف هذا البحث إلىٰ توضيح العمل الخيري علىٰ أنَّه مقصد عام للشريعة الإسلامية التي جاءت موجهة ومصلحة للأوضاع المحيطة بالإنسان، ووضعت من الحلول ما لو تمسك بها البشر لتجاوزوا النكبات والأزمات ونهضوا بأوطانهم.

والبحث دراسة استقرائية لمفهوم العمل الخيري، وكونه مقصدًا عامًا من مقاصد الشريعة من القرآن والسنة، بالإضافة إلىٰ بيان أهم خصائص العمل الخيري مدعومة بالأدلة الشرعية وأراء بعض أهل العلم فيها، وقد جاء البحث في مقدمة وثلاثة مطالب وخاتمة، فهو بحث تأصيلي شرعي يبين أن العمل الخيري مقصد أساسي، وليس مطلبًا حضاريًا مستحدثًا.

المقدمة

الحمد لله الذي هدىٰ العباد لأفضل الطاعات، وجعل فعل الخير مقصدًا عامًا لجميع الشرائع، وشرع التنافس فيها باستباق الخيرات، والصلاة والسلام علىٰ سيدنا محمد وعلىٰ آله وصحبه أجمعين.

وبعد:

فإنَّ العمل الخيري مقصد عام من مقاصد الإسلام، راسخ برسوخ عقيدته، يستمد مشروعيته من القرآن الكريم والسنة النبوية.

وقد جاءت هذه الدراسة؛ لتبين أهمية العمل الخيري في الإسلام ومكانته باستقراء نصوص الوحي من القرآن والسنة، والوصول إلىٰ أنَّ العمل الخيري هو مقصد عام للشريعة الإسلامية وليس مطلبًا حضاريًا غربيًا مستحدثًا.

فمما لا شك فيه أنَّ العمل الخيري له أهمية كبيرة تعود بالنفع علىٰ الفرد والأمة، فالعمل الخيري يرتبط ارتباطا وثيقا بالدين الإسلامي، فهو تنافس شريف والتزام أدبي لتحقيق أهداف إنسانية؛ لذلك استحق صاحبه الأجر والثواب والذكر الحسن، فقد قال تعالىٰ: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ أُوْلَٰٓئِكَ هُمۡ خَيۡرُ ٱلۡبَرِيَّةِ﴾ [البينة:٧]، وقد اهتم الإسلام اهتمامًا كبيرًا بالعمل الخيري، وجعله مقصدًا عامًا من مقاصده، ففي القرآن الكريم والسنة النبوية أدلة كثيرة تدل عليه. فما العمل الخيري؟، وما موقعه وأهميتهُ في الإسلام؟ وما خصائصه؟ كل ذلك سأبينه من خلال هذا البحث المتواضع.

وقد اتَّبعتُ في هذا البحث المنهج الاستقرائي، حيث تم استقراء ما أمكن من نصوص الوحي من القرآن والسنة، واستنباط النصوص المؤصلة للعمل الخيري بعدِّه مقصدًا عامًا للشريعة الإسلامية.

وقسمت هذا البحث إلىٰ مقدمة وثلاثة مطالب.

جعلتُ المقدمة لأهمية الموضوع، ومنهجه، وخطة دراسته.

وأمَّا المطلب الأول فخصصته **في معنىٰ مفردات البحث، وفيه:**

الفرع الأول: معنىٰ العمل الخيري: (العمل الخيري لغة، العمل الخيري اصطلاحًا).

الفرع الثاني: مفهوم المقصد: (المقصد لغة، المقصد اصطلاحًا).

أمَّا المطلب الثاني فخصصته للحديث عن **موقع العمل الخيري في القرآن والسنة، وفيه:**

الفرع الأول: دلالات القرآن الكريم علىٰ أن العمل الخيري مقصد عام من مقاصد الشريعة.

الفرع الثاني: دلالات السنة النبوية علىٰ أن العمل الخيري مقصد عام من مقاصد الشريعة.

الفرع الثالث: موقع العمل الخيري في أقوال السلف.

أمَّا المطلب الثالث فقد أفردته للحديث **عن خصائص العمل الخيري في الشريعة الإسلامية، وفيه:**

الفرع الأول: دلالة نصوص الشريعة علىٰ شمولية العمل الخيري.

الفرع الثاني: دلالة نصوص الشريعة علىٰ استمرارية العمل الخيري.

الفرع الثالث: دلالة نصوص الشريعة علىٰ تنوع العمل الخيري.

وأَتْبعْتُ مطالب البحث بخاتمة رصدتُ فيها أهم النتائج المتوصل إليها من خلال البحث، وأردفتها بفهرس المصادر والمراجع، وفهرس الموضوعات.

وفيما يأتي نتحدث عن مضمون البحث:

توطئة

إنّ أعمالَ الخير في الإسلام من المتطلبات الكبرىٰ في الدّين، وليست شيئًا فرعيًّا أو أمرًا جانبيًّا، فضلاً عن أن يكون معرّةً تُنكَر أو تهمةً تدفَع، بل إنّه مطلوب كما يُطلَب الركوع والسّجودُ وأنواع العبادة، وذلك كلُّه سبيل الفلاح، ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱرۡكَعُواْ وَٱسۡجُدُواْ وَٱعۡبُدُواْ رَبَّكُمۡ وَٱفۡعَلُواْ ٱلۡخَيۡرَ لَعَلَّكُمۡ تُفۡلِحُونَ﴾ [الحج:٧٧]. وسنتبين ذلك من خلال المطالب التالية:

المطلب الأول

فخصصته في معنى مفردات البحث

وفيه:

- **الفرع الأول: معنى العمل الخيري: (العمل الخيري لغة، العمل الخيري اصطلاحًا).**
- **الفرع الثاني: مفهوم المقصد: (المقصد لغة، المقصد اصطلاحًا).**

المطلب الأول
في معنى مفردات البحث، وفيه:

۞ الفرع الأول: معنى العمل الخيري: (العمل الخيري لغة، العمل الخيري اصطلاحا)

أولا: معنىٰ العمل الخيري لغة:

العمل: من عمل يعمل عملاً، وهو كل فعل بقصد، والعمل حركة البدن بكله أو بعضه، فالعمل: المهنة والفعل والجمع أعمال(١).

والخَيْرُ: ضد الشر وجمعه (خُيُورٌ)، **والخَيْر**: ما يَرْغَب فيه الكُلُّ، كالعَقْل والعَدْل والفَضْلِ والشَّيْءِ النَّافِع، **وخَيْرَةٍ**: الفاضِلَةُ من كلِّ شيء، وخير بين الأشياء فضل بعضها علىٰ بعض، **والخَيْرِ**: الكَرَمُ والجود والشرفُ والأَصْلُ والهَيْئَةُ

(١) ـ ينظر: لسان العرب، لمحمد بن مكرم بن منظور الأفريقي المصري، دار صادر – بيروت، الطبعة الأولىٰ، ص١١/ ٤٧٤.والتوقيف علىٰ مهمات التعاريف، لمحمد عبد الرؤوف المناوي، تحقيق : د. محمد رضوان الداية، دار الفكر المعاصر، دار الفكر - بيروت .دمشق، الطبعة الأولىٰ، ١٤١٠هـ، ص٥٢٧. وتاج العروس من جواهر القاموس، لمحمّد بن محمّد بن عبد الرزّاق الحسيني ، أبو الفيض ، الملقّب بمرتضىٰ ، الزَّبيدي، تحقيق مجموعة من المحققين، دار الهداية، ٣٠/ ٥٦. و المعجم الوسيط، لإبراهيم مصطفىٰ ـ أحمد الزيات ـ حامد عبد القادر ـ محمد النجار، تحقيق / مجمع اللغة العربية، دار الدعوة، ص٢/ ٦٢٨.

والطبيعة [1].

ثانيًا: معنىٰ العمل الخيري اصطلاحًا: لم يرد تركيب مصطلح (العمل الخيري) في كتب الدراسات الإسلامية التراثية، مع أنَّ مدلوله كان موجودًا بصيغ شتىٰ، نتناول بعضها في ثنايا هذا البحث، وقد وضع عدد من الباحثين والدارسين المتأخرين والمعاصرين تعريفات عدة للعمل الخير منها:

أنَّ" **المراد بالعمل الخيري**: النفع المادي أو المعنوي الذي يقدمه الإنسان لغيره، من دون أن يأخذ عليه مقابلا ماديا، ولكن ليحقق هدفا خاصًا له أكبر من المقابل المادي، قد يكون عند بعض الناس الحصول علىٰ الثناء والشهرة، أو نحو ذلك من أغراض الدنيا، والمؤمن يفعل ذلك لأغراض تتعلّق بالآخرة؛ رجاء الثواب عند الله والدخول لجنات النعيم، فضلا عما يناله في الحياة من بركة وحياة طيبة، وسكينة نفسية، وسعادة روحية لا تقدر بثمن عند أهلها"[2].

ويعرف أيضًا بأنَّه:" عمل يشترك فيه جماعة من الناس لتحقيق مصلحة عامة، وأغراض إنسانية أو دينية أو علمية أو صناعية أو اقتصادية، بوسيلة جمع التبرعات وصرفها في وجوه الأعمال الخيرية، بقصد نشاط اجتماعي أو ثقافي أو إغاثي، بطرق الرعاية أو المعاونة ماديًّا أو معنويًّا داخل الدولة وخارجها، من غير قصد الربح لمؤسسيها، سواء سُمي إغاثة أو جمعية أو مؤسسة أو هيئة أو منظمة خاصة

(١) ـ ينظر: لسان العرب٤/ ٢٦٣. و المصباح المنير في غريب الشرح الكبير للرافعي، لأحمد بن محمد بن علي المقري الفيومي، المكتبة العلمية – بيروت، ١/ ١٨٥. وتاج العروس ١١/ ٢٣٨.

(٢) ـ أصول العمل الخيري في الإسلام، ليوسف القرضاوي، دار الشروق، ط/ ٢. ٢٠٠٨، ص ٢٢.

أو عامة"(١).

ويعرفه آخرون بأنَّه:" أعمال البر وصنائع المعروف التي يجود به المجتمع المدني بدءًا من الفرد ومرورا بالجماعة، وانتهاءً إلىٰ المؤسسة، ولا يقتصر هذا العمل علىٰ جلب الموارد، وإدارة المال وصرفه في الوجوه المشروعة؛ وإنما يتعدىٰ ذلك إلىٰ التخطيط لسبل الإنماء والتطوير بما يتاح من برامج ثقافية ودعوية وإعلامية"(٢).

۞ الفرع الثاني: مفهوم المقصد: (المقصد لغة، المقصد اصطلاحا):

أولا: معنىٰ المقصد لغة: من قصد الشيء، وقصد له، وقصد إليه قصدًا إذا طلبه بعينه وأتىٰ إليه، والقصد: الاعتماد والأم(٣).

ثانيًا: معنىٰ المقصد العام اصطلاحا: يطلق مصطلح المقصد العام للشريعة علىٰ الهدف العام والغاية الكلية الذي أراده الشارع من مجموع تشريعاته، والذي تسعىٰ الشريعة إلىٰ تحقيقه في حياة الناس.

(١) ـ العمل الخيري دراسة تأصيلية تاريخية، بحث مقدم من د.محمد صالح جواد مهدي، مجلة سر من رأي للدراسات الإنسانية، مجلد٨/ العدد٣٠/ السنة الثامنة/ تموز٢٠١٣مم، ص٢١٢.

(٢) قواعد الوسائل وأثرها في تنمية العمل الخيري، بحث مقدم من د.قطب الريسوني إلىٰ مؤتمر العمل الخيري الخليجي الثالث، دائرة الشؤون الإسلامية والعمل الخيري بدبي، ٢٠٠٨م، ص٧.

(٣) ـ ينظر: لسان العرب٣/ ٣٥٣. و المصباح المنير ٢/ ٥٠٥.. وتاج العروس ٩/ ٣٦. مادة: قصد.

فالمقصد العام: تحقيق مصالح الخلق جميعا في الدنيا والآخرة، ويتحقق هذا من خلال جملة أحكام الشريعة الإسلامية(١).

(١) ينظر: مقاصد الشريعة الإسلامية، لمحمد الطاهر بن عاشور، تقديم دار الكتاب اللبناني، ٢٠١١م، ص٨٢. ومقاصد الشريعة الإسلامية ومكارمها، لعلال الفاسي، دار الغرب الإسلامي، الطبعة الخامسة، ١٩٩١م، ص٧. ومقاصد الشريعة الإسلامية وعلاقتها بالأدلة الشرعية، لمحمد سعد بن أحمد بن مسعود اليوبي، دار الهجرة للنشر والتوزيع، الطبعة الأولى، ١٤١٨هـ-١٩٩٨م، ص٣٦، ٣٧.

المطلب الثاني

فخصصته للحديث عن موقع العمل الخيري في القرآن والسنة،

وفيه:

- **الفرع الأول: دلالات القرآن الكريم على أن العمل الخيري مقصد عام من مقاصد الشريعة.**
- **الفرع الثاني: دلالات السنة النبوية على أن العمل الخيري مقصد عام من مقاصد الشريعة.**
- **الفرع الثالث: موقع العمل الخيري في أقوال السلف.**

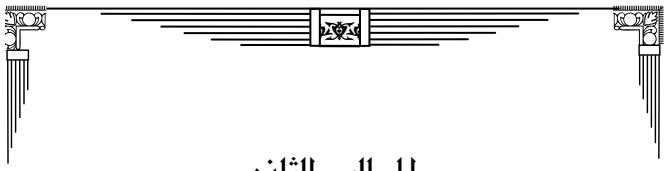

المطلب الثاني
موقع العمل الخيري في القرآن والسنة:

مما لا شك فيه أنَّ جوهر العمل الخيري يتوافق مع جوهر الإسلام، وجوهر الشريعة الإسلامية التي تنظر إلىٰ الإنسان علىٰ أنَّه مستخلف في هذه الأرض لعمارتها، ولتحقيق الخير والسعادة لنفسه ولمجتمعه وللإنسانية جمعاء؛ حيث جعلت خير الأعمال وأقربها إلىٰ الله خدمة الإنسان لأخيه الإنسان بتقديم الخير له، والشاهد علىٰ ذلك نصوص الوحيين (الكتاب والسنة)، والتي نقتصر في هذا المطلب علىٰ ما يسع المجال لذكره منها.

فالعمل الخيري مقصد عام من مقاصد الشريعة، وذلك بدلالة ورود الكثير من الآيات القرآنية والأحاديث النبوية الشريفة التي تدل علىٰ العمل الخيري أو أحد مرادفاته، حيث جاءت بصيغ شتىٰ، بعضها: أمرٌ به، أو ترغيبٌ فيه، وبعضها: نهي عن ضده، أو تحذير منه، وبعضها مدح لفاعلي الخير، وبعضها ذم لمن لا يفعل فعلهم، وبعضها يثني علىٰ فعل الخير في ذاته، وبعضها يثني علىٰ الدعوة إليه، أو التعاون عليه، أو التنافس فيه[1].

(١) ينظر أصول العمل الخيري في الإسلام في ضوء النصوص والمقاصد الشرعية، للشيخ يوسف القرضاوي، دار الشروق، الطبعة الثانية، ٢٠٠٨، ص٢٥.

الفرع الأول

دلالات القرآن الكريم على أن العمل الخيري مقصد عام من مقاصد الشريعة:

القرآن الكريم حافل بالكثير من الآيات التي تدل علىٰ أنَّ العمل الخيري مقصد عام من مقاصد الشريعة، وذلك بدلالة كثرة وروده بلفظ(خير)، أو بمضمونه كـ(البر، والإحسان، والصدقة)، والحث عليه وبيان فضله، وقد ورد لفظ الخير (١٨٠) مرة في القرآن الكريم، وورد لفظ (أخيار)، و(خيرات) و(خيرة) (٨) مرات في سياقات متنوعة تربط (الخير) بجوانب أساسية من الحياة المدنية التي يعيشها الناس، كما ورد في بعض الحالات ضمن سياقات (أقل عددا) تربطه بالحياة الآخرة[١]. ونذكر منها علىٰ سبيل المثال لا الحصر ما يلي:

❁ آيات قرآنية بلفظ(الخير):

قال تعالىٰ: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱرۡكَعُواْ وَٱسۡجُدُواْ وَٱعۡبُدُواْ رَبَّكُمۡ وَٱفۡعَلُواْ ٱلۡخَيۡرَ لَعَلَّكُمۡ تُفۡلِحُونَ﴾ [الحج:٧٧]، في هذه الآية دلالة علىٰ طلب فعل الخير الذي يدخل فيه: "صلة الأرحام، ومكارم الأخلاق، وسائر وجوه البر"[٢]. وبفعل الخير يجمع المنهاج الذي رسمه الله لهذه الأمة، الذي يبدأ بالأمر بالركوع

(١) العمل الخيري: مفهومه وموقعه من مقاصد الشريعة، بحث مقدم من أ.د. إبراهيم البيومي غانم، ٢٠١٧ مجلة قضايا فكرية، العدد ١٤/ الصفحة ٦١٦.

(٢) تفسير القرآن، لأبي المظفر منصور بن محمد بن عبد الجبار السمعاني، تحقيق: ياسر بن إبراهيم و غنيم بن عباس بن غنيم، دار الوطن – الرياض، ١٤١٨هـ- ١٩٩٧م، ٢/ ٤٥٧.

والسجود - وهما ركنا الصلاة البارزان-، ويثنِّي بالأمر العام بالعبادة التي هي أشمل من الصلاة، ويختم بفعل الخير عامة في التعامل مع الناس بعد التعامل مع الله بالصلاة والعبادة، يأمر الأمة المسلمة بهذا، رجاء أن تفلح. فالعبادة تَصِلها بالله؛ فتقوم حياتها علىٰ قاعدة ثابتة وطريق واصل، وفعل الخير يؤدي إلىٰ استقامة الحياة الجماعية علىٰ قاعدة من الإيمان وأصالة الاتجاه، فإذا استعدت الأمة المسلمة بهذه العدة من الصلة بالله، واستقامة الحياة؛ نهضت.

وقال تعالىٰ: ﴿وَمَا تُنفِقُواْ مِنْ خَيْرٍ فَلِأَنفُسِكُمْ ۚ وَمَا تُنفِقُونَ إِلَّا ٱبْتِغَآءَ وَجْهِ ٱللَّهِ ۚ وَمَا تُنفِقُواْ مِنْ خَيْرٍ يُوَفَّ إِلَيْكُمْ وَأَنتُمْ لَا تُظْلَمُونَ﴾ [البقرة:٢٧٢]، جاءت هذه الآية في سياق الحديث عمَّن ليس في دين الإسلام، حيث قال تعالىٰ: ﴿لَّيْسَ عَلَيْكَ هُدَىٰهُمْ وَلَٰكِنَّ ٱللَّهَ يَهْدِى مَن يَشَآءُ﴾ [البقرة:٢٧٢] ؛ لتبين أنَّ الشريعة لم تأتِ إلا بالخير؛ لذلك نجد أن هذه الآية رفعت الحرج عن الصحابة الذين تحرجوا من الإنفاق علىٰ ذوي رحمهم من غير المسلمين؛ فأباح الله في هذه الآية الإنفاق علىٰ غير المسلمين، وكُرّر فعل تنفقون ثلاث مرات في الآية لمزيد الاهتمام بمدلوله ﴿وَمَا تُنفِقُواْ مِنْ خَيْرٍ فَلِأَنفُسِكُمْ ۚ وَمَا تُنفِقُونَ إِلَّا ٱبْتِغَآءَ وَجْهِ ٱللَّهِ ۚ وَمَا تُنفِقُواْ مِنْ خَيْرٍ يُوَفَّ إِلَيْكُمْ﴾ [البقرة:٢٧٢] (١).

وقال تعالىٰ: ﴿وَلْتَكُن مِّنكُمْ أُمَّةٌ يَدْعُونَ إِلَى ٱلْخَيْرِ وَيَأْمُرُونَ بِٱلْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ ٱلْمُنكَرِ ۚ وَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُفْلِحُونَ﴾ [آل عمران:١٠٤].

قال تعالىٰ: ﴿كُنتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ تَأْمُرُونَ بِٱلْمَعْرُوفِ وَتَنْهَوْنَ عَنِ

(١) ينظر تفسير التحرير والتنوير ـ الطبعة التونسية، للشيخ محمد الطاهر بن عاشور، دار سحنون للنشر والتوزيع - تونس - ١٩٩٧م، ٣/ ٧٢.

ٱلْمُنكَرِ وَتُؤْمِنُونَ بِٱللَّهِ ۗ وَلَوْ ءَامَنَ أَهْلُ ٱلْكِتَٰبِ لَكَانَ خَيْرًا لَّهُم ۚ مِّنْهُمُ ٱلْمُؤْمِنُونَ وَأَكْثَرُهُمُ ٱلْفَٰسِقُونَ ﴾ [آل عمران:١١٠].

وقال تعالىٰ:﴿وَجَعَلْنَٰهُمْ أَئِمَّةً يَهْدُونَ بِأَمْرِنَا وَأَوْحَيْنَآ إِلَيْهِمْ فِعْلَ ٱلْخَيْرَٰتِ وَإِقَامَ ٱلصَّلَوٰةِ وَإِيتَآءَ ٱلزَّكَوٰةِ ۖ وَكَانُوا۟ لَنَا عَٰبِدِينَ ﴾ [الأنبياء:٧٣].

ففي الآية الأولىٰ: جعل الله فعل الخيرات والدعوة له من أسباب فلاح المؤمن في الدنيا والآخرة، وفي الآية الثانية: قدم الله الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر علىٰ الإيمان بالله، مع أنَّه لا يصلح عمل صالح ولا يكون مقبولا عنده إلاَّ بالإيمان؛ ليبين سبحانه أنَّ الأمر بالمعروف وتقديم الخير من أعظم شعائر الدين وأكبر أسباب التقوىٰ، وفي الآية الثالثة: قدم الله فعل الخيرات علىٰ قيام الصلاة التي هي عمود الدين؛ لأنَّ إقامة الصلاة نفعها وعاقبتها يعود علىٰ الشخص نفسه فنفعها قاصر عليه، لكن القيام بأعمال الخير نفعه متعدٍ إلىٰ الأمة جمعاء. وفي قوله تعالىٰ:﴿وَسَارِعُوٓا۟ إِلَىٰ مَغْفِرَةٍ مِّن رَّبِّكُمْ وَجَنَّةٍ عَرْضُهَا ٱلسَّمَٰوَٰتُ وَٱلْأَرْضُ أُعِدَّتْ لِلْمُتَّقِينَ ﴿١٣٣﴾ ٱلَّذِينَ يُنفِقُونَ فِى ٱلسَّرَّآءِ وَٱلضَّرَّآءِ ﴾ [آل عمران:١٣٣-١٣٤] دعا الله هذه الأمة إلىٰ المسارعة في جميع مجالات العمل الخيري: الفكرية، والبدنية، والمالية، والعفو عن الآخرين، ووعدهم بجنة عرضها السماوات والأرض أعدت للمتقين.

❁ آيات قرآنية بلفظ(البر):

قال تعالىٰ:﴿لَّيْسَ ٱلْبِرَّ أَن تُوَلُّوا۟ وُجُوهَكُمْ قِبَلَ ٱلْمَشْرِقِ وَٱلْمَغْرِبِ وَلَٰكِنَّ ٱلْبِرَّ مَنْ ءَامَنَ بِٱللَّهِ وَٱلْيَوْمِ ٱلْءَاخِرِ وَٱلْمَلَٰٓئِكَةِ وَٱلْكِتَٰبِ وَٱلنَّبِيِّۦنَ وَءَاتَى ٱلْمَالَ عَلَىٰ حُبِّهِۦ ذَوِى ٱلْقُرْبَىٰ وَٱلْيَتَٰمَىٰ وَٱلْمَسَٰكِينَ وَٱبْنَ ٱلسَّبِيلِ وَٱلسَّآئِلِينَ وَفِى ٱلرِّقَابِ وَأَقَامَ ٱلصَّلَوٰةَ وَءَاتَى ٱلزَّكَوٰةَ وَٱلْمُوفُونَ بِعَهْدِهِمْ إِذَا عَٰهَدُوا۟ ۖ وَٱلصَّٰبِرِينَ فِى ٱلْبَأْسَآءِ وَٱلضَّرَّآءِ وَحِينَ ٱلْبَأْسِ ۗ أُو۟لَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ صَدَقُوا۟ ۖ وَأُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُتَّقُونَ ﴾ [البقرة:١٧٧].

البِرّ: كلمة جامعة لكل خير، وتعني: سعة الإحسان، وشدة المرضاة والخير الكامل الشامل، وقد جمعت هذه الآية جماع الفضائل الفردية والاجتماعية الناشئ عنها صلاح أفراد المجتمع من أصول العقيدة وصالحات الأعمال، فالإيمان وإقام الصلاة هما منبع الفضائل الفردية؛ لأنَهما ينبثق عنهما سائر التحليات المأمور بها، والزكاة وإيتاء المال أصل نظام الجماعة صغيرها وكبيرها، والمواساة تقوىٰ بها الأخوة والاتحاد، وتسدد للأمة مصالح كثيرة، وببذل المال في الرقاب يتعزز جانب الحرية المطلوبة للشارع؛ حتىٰ يصير الناس كلهم أحراراً، والوفاء بالعهد فيه فضيلة فردية، وهي عنوان كمال النفس، وفضيلة اجتماعية وهي ثقة الناس بعضهم ببعض، والصبر فيه جماع الفضائل وشجاعة الأمة، فهذا الكلام موجه إلىٰ المسلمين أي: اتركوا مجادلة أهل الكتاب في أمر القبلة.

ونفيُ البر عن استقبال الجهات -مع أن منها ما هو مشروع كاستقبال الكعبة؛ لأنَّه من الوسائل لا من المقاصد- لا ينبغي أن يكون الاشتغال به قصارىٰ همة المؤمنين؛ ولذلك أسقطه الله عن الناس في حال العجز والنسيان، فقال – تعالىٰ -: ﴿وَلَٰكِنَّ ٱلْبِرَّ مَنْ ءَامَنَ بِٱللَّهِ وَٱلْيَوْمِ ٱلْءَاخِرِ﴾ [البقرة:١٧٧] فإن ذلك كلَّه من أهم مقاصد الشريعة، وفيه جماع صلاح النفس والجماعة، وفيه صرف للمسلمين بأن يهتموا بالمقاصد، ويعتنوا بإصلاح مجتمعهم(١).

وقال تعالىٰ: ﴿لَن تَنَالُواْ ٱلْبِرَّ حَتَّىٰ تُنفِقُواْ مِمَّا تُحِبُّونَ ۚ وَمَا تُنفِقُواْ مِن شَىْءٍ فَإِنَّ ٱللَّهَ بِهِۦ عَلِيمٌ﴾ [آل عمران:٩٢]. قال الإمام السعدي في تفسير هذه الآية: "هذا حث من الله لعباده علىٰ الإنفاق في طرق الخيرات، فقال: ﴿لَن تَنَالُواْ﴾ أي: تدركوا وتبلغوا البر الذي هو كل خير من أنواع الطاعات وأنواع المثوبات الموصل لصاحبه إلىٰ

(١) ينظر تفسير التحرير والتنوير، ٢/ ٤٢.

الجنة، ﴿حَتَّىٰ تُنفِقُواْ مِمَّا تُحِبُّونَ﴾ [آل عمران:٩٢] أي: من أموالكم النفيسة التي تحبها نفوسكم، فإنَّكم إذا قدمتم محبة الله علىٰ محبة الأموال فبذلتموها في مرضاته، دل ذلك علىٰ إيمانكم الصادق وبر قلوبكم ويقين تقواكم، فيدخل في ذلك إنفاق نفائس الأموال، والإنفاق في حال حاجة المنفق إلىٰ ما أنفقه، والإنفاق في حال الصحة، كما دلت الآية علىٰ أنَّ العبد بحسب إنفاقه للمحبوبات يكون بره، وأنَّه ينقص من بره بحسب ما نقص من ذلك، ولما كان الإنفاق علىٰ أي وجه كان مثابا عليه العبد، سواء كان قليلا أو كثيرا، محبوبا للنفس أو لا وكان قوله:﴿لَن تَنَالُواْ ٱلْبِرَّ حَتَّىٰ تُنفِقُواْ مِمَّا تُحِبُّونَ﴾ [آل عمران:٩٢] مما يوهم أن إنفاق غير هذا المقيد غير نافع؛ احترز –تعالىٰ– عن هذا الوهم بقوله ﴿وَمَا تُنفِقُواْ مِن شَيْءٍ فَإِنَّ ٱللَّهَ بِهِۦ عَلِيمٌ﴾ [آل عمران:٩٢] فلا يضيّق عليكم، بل يثيبكم عليه علىٰ حسب نياتكم ونفعه"(١).

وقوله تعالىٰ:﴿وَتَعَاوَنُواْ عَلَى ٱلْبِرِّ وَٱلتَّقْوَىٰ﴾ [المائدة:٢] في هذه الآية أمر لجميع الخلق بالتعاون علىٰ البر والتقوىٰ، أي: ليعن بعضكم بعضا، وتحاثوا علىٰ ما أمر الله تعالىٰ واعملوا به، ففي الآية قرن الله –سبحانه– التعاون البر بالتقوىٰ؛ لأنَّ في التقوىٰ رضا الله تعالىٰ، وفي البر رضا الناس، ومن جمع بين رضا الله تعالىٰ ورضا الناس؛ فقد تمت سعادته وعمت نعمته. والتعاون علىٰ البر والتقوىٰ يكون بوجوه: فواجب علىٰ العالم أن يعين الناس بعلمه فيعلمهم، ويعينهم الغني بماله، والشجاع بشجاعته في سبيل الله، وأن يكون المسلمون متظاهرين كاليد الواحدة.

(١) ـ ينظر تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان، لعبد الرحمن بن ناصر بن السعدي، تحقيق: عبد الرحمن بن معلا اللويحق، مؤسسة الرسالة، الطبعة الأولىٰ، ١٤٢٠هـ – ٢٠٠٠ م، ص١٣٨.

ويجب الإعراض عن المتعدي وترك النصرة له ورده عما هو عليه(١).

❁ آيات قرآنية بلفظ(الإحسان): من الآيات التي أمر الله فيها بالإحسان:

قوله تعالىٰ: ﴿وَأَنفِقُوا۟ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ وَلَا تُلْقُوا۟ بِأَيْدِيكُمْ إِلَى ٱلتَّهْلُكَةِ ۛ وَأَحْسِنُوٓا۟ ۛ إِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلْمُحْسِنِينَ﴾ [البقرة:١٩٥]. الإحسان: كف الأذىٰ وبذل المعروف، وهذا يشمل جميع أنواع الإحسان؛ لأنَّه لم يقيده بشيء دون شيء، فيدخل فيه الإحسان بالمال وبالجاه، وبالشفاعات، ويدخل في ذلك الإحسان: الأمر بالمعروف، والنهي عن المنكر، وتعليم العلم النافع، و قضاء حوائج الناس من: تفريج كرباتهم وإزالة شدَّاتهم، وعيادة مرضاهم، وتشييع جنائزهم، وإرشاد ضالهم، وإعانة من يعمل عملا، والعمل لمن لا يحسن العمل ونحو ذلك، مما هو من الإحسان الذي أمر الله به(٢).

وقوله تعالىٰ في الحث علىٰ الإحسان: ﴿وَأَحْسِن كَمَآ أَحْسَنَ ٱللَّهُ إِلَيْكَ ۖ وَلَا تَبْغِ ٱلْفَسَادَ فِى ٱلْأَرْضِ ۖ﴾ [القصص:٧٧] "أي: أحسن إلىٰ خلقه كما أحسن هو إليك"(٣). وقوله عَزَّوَجَلَّ: ﴿وَقُولُوا۟ لِلنَّاسِ حُسْنًا﴾ [البقرة:٨٣]، قال الإمام القرطبي في تفسير هذه الآية:" قولوا لهم الطيب من القول، وجازوهم بأحسن ما تحبون أن تجازوا به. وهذا كله حض علىٰ مكارم الأخلاق، فينبغي للإنسان أن يكون قوله

(١) ينظر الجامع لأحكام القرآن، لأبي عبد الله محمد بن أحمد بن أبي بكر بن فرح الأنصاري الخزرجي شمس الدين القرطبي، تحقبق هشام سمير البخاري، دار عالم الكتب، الرياض، المملكة العربية السعودية، ١٤٢٣ هـ/ ٢٠٠٣ م، ٦/ ٤٧.

(٢) ينظر تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان، للسعدي، ص٩٠.

(٣) ـ تفسير القرآن العظيم، لأبي الفداء إسماعيل بن عمر بن كثير القرشي الدمشقي، تحقيق: سامي بن محمد سلامة، دار طيبة للنشر والتوزيع، الطبعة الثانية، ١٤٢٠هـ - ١٩٩٩ م، ٦/ ٢٥٤.

للناس لينا، ووجهه منبسطا طلقا مع البَّر والفاجر، والسني والمبتدع، من غير مداهنة، ومن غير أن يتكلم معه بكلام يظن أنه يرضي مذهبه؛ لأنَّ الله تعالىٰ قال لموسىٰ وهارون: ﴿فَقُولَا لَهُۥ قَوْلًا لَّيِّنًا﴾ [طه:٤٤]. فالقائل ليس بأفضل من موسىٰ وهارون، والفاجر ليس بأخبث من فرعون، وقد أمرهما الله تعالىٰ باللين معه"(١).

وقوله تعالىٰ:﴿ٱلَّذِينَ يُنفِقُونَ فِى ٱلسَّرَّآءِ وَٱلضَّرَّآءِ وَٱلْكَٰظِمِينَ ٱلْغَيْظَ وَٱلْعَافِينَ عَنِ ٱلنَّاسِ ۗ وَٱللَّهُ يُحِبُّ ٱلْمُحْسِنِينَ﴾ [آل عمران:١٣٤]. قال الإمام الفخر الرازي في تفسيره لهذه الآية: "واعلم أنَّ الإحسان إلىٰ الغير إمَّا أن يكون بإيصال النفع إليه أو بدفع الضرر عنه. أمَّا إيصال النفع إليه فهو المراد بقوله: ﴿ٱلَّذِينَ يُنفِقُونَ فِى ٱلسَّرَّآءِ وَٱلضَّرَّآءِ﴾، ويدخل فيه: إنفاق العلم وذلك بأن يشتغل بتعليم الجاهلين، وهداية الضالين، ويدخل فيه إنفاق المال في وجوه الخيرات والعبادات، وأمَّا دفع الضرر عن الغير فهو: إمَّا في الدنيا وهو أن لا يشتغل بمقابلة تلك الإساءة بإساءة أخرىٰ، وهو المراد بكظم الغيظ، وإمَّا في الآخرة وهو أن يبرئ ذمته عن التبعات والمطالبات في الآخرة، وهو المراد بقوله تعالىٰ:﴿وَٱلْعَافِينَ عَنِ ٱلنَّاسِ﴾ [آل عمران:١٣٤] ؛ فصارت هذه الآية من هذا الوجه دالة علىٰ جميع جهات الإحسان إلىٰ الغير، ولما كانت هذه الأمور الثلاثة مشتركة في كونها إحسانا إلىٰ الغير ذكر ثوابها فقال:﴿وَٱللَّهُ يُحِبُّ ٱلْمُحْسِنِينَ﴾ [آل عمران:١٣٤] ؛ فإن محبة الله للعبد أعم درجات الثواب"(٢).

(١) ـ الجامع لأحكام القرآن، ٢/ ١٦.

(٢) ـ ينظر مفاتيح الغيب، للإمام فخر الدين محمد بن عمر التميمي الرازي الشافعي، دار الكتب العلمية – بيروت – ١٤٢١هـ – ٢٠٠٠ م، الطبعة الأولىٰ، ٩/ ٨.

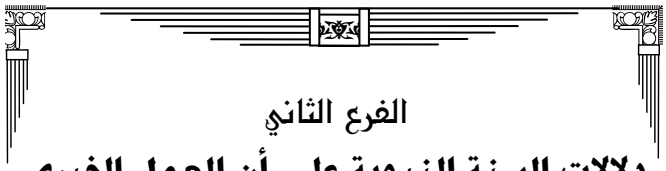

الفرع الثاني
دلالات السنة النبوية على أن العمل الخيري مقصد عام من مقاصد الشريعة:

السنة النبوية حافلة بالأحاديث الشريفة الدالة علىٰ العمل الخيري أو أحد مرادفاته، وقد ضرب الرسول ﷺ وأصحابه ـ رضوان الله عليهم ـ بذلك أروع الأمثلة والقدوات الحسنة في ذلك؛ لعلمهم بالأجر والثواب العظيم من الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ، وذلك في أحاديث كثيرة، نذكر منها علىٰ سبيل المثال لا الحصر ما يلي:

قوله ﷺ: «**خير الناس أنفعهم للناس**»(١).وهذا فيه من الدلالة ما يكفي لفعل الخير وعلو مكانة فاعله، وفيه أيضا حث علىٰ ضرورة القيام بمعاونة الناس جميعا وأن يتخذ العون كل أشكاله. قال المناوي في فيض القدير : «**خير الناس أنفعهم للناس**» بالإحسان إليهم بماله وجاهه، فإنهم عباد الله وأحبهم إليه وأنفعهم لعياله، أي: أشرفهم عنده أكثرهم نفعا للناس بنعمة يسديها أو نقمة يزويها عنهم دينا أو دنيا، ومنافع الدين أشرف قدرا وأبقىٰ نفعا، وهو يفيد أن الإمام العادل خير الناس؛ أي: بعد الأنبياء؛ لأنَّ الأمور التي يعم نفعها ويعظم وقعها لا يقوم بها غيره، وبه نفع العباد والبلاد، وهو القائم بخلافة النبوة في إصلاح الخلق، ودعائهم إلىٰ

(١) أخرجه: السيوطي في الجامع الصغير (١/ ٣٨٣)، حديث رقم:٤٠٤٤. والقضاعي في مسند الشهاب (٢/ ٢٢٣)، حديث رقم:١٢٣٤. والعجلوني في كشف الخفاء (١/ ٣٩٣)، حديث رقم:١٢٥٤. ووحسنه الشيخ الألباني في صحيح الجامع الصغير(١/ ٩٧)، حديث رقم:١٧٦.

الحق، وإقامة دينهم، وتقويم أودهم، ولولاه لم يكن علم ولا عمل(١).

وقوله ﷺ: «**إن لله عبادًا اختصَّهم بالنعم لمنافع العباد، يُقرهم فيها ما بذلوها، فإذا منَعوها نزعها منهم، فحوَّلها إلىٰ غيرهم**»(٢). قال المناوي في التيسير:"إنَّ لله تعالىٰ أقواماً يختصهم بالنعم لأجل منافعهم للعباد، ويقرها فيهم مدّة دوام بذلهم ذلك للمستحق، فإذا منعوها نزعها منهم فحوّلها إلىٰ غيرهم؛ ليقوموا بها كما يجب.﴿إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُغَيِّرُ مَا بِقَوْمٍ حَتَّىٰ يُغَيِّرُوا۟ مَا بِأَنفُسِهِمْ﴾ [الرعد:١١]. فهذا الحديث اصطفاء من الله للذين يقضون حوائج الناس(٣).

وإنَّ في إعانة المسلم وتفريج كربه وستر حاله وقضاء حوائجه عظيم فضل في الإسلام، وهذا إن دل علىٰ شيء فإنه يدل علىٰ أن العمل الخيري هو مقصد عام من مقاصد الشرع، وإذا تتبعنا أحاديث النبي ﷺ الواردة في فضل قضاء حوائج الناس وخدمتهم لعجزنا عن حصرها، فالأحاديث في ذلك كثيرة منها:

قوله ﷺ: «**من نفس عن مسلم كُربة من كرب الدنيا، نفس الله عنه كُربة من كرب يوم القيامة، ومن يسَّر عن معسر يسر الله عليه في الدنيا والآخرة، ومن ستر مسلما ستره الله عليه في الدنيا والآخرة، والله في عون العبد ما كان العبد في عون**

(١) ـ ينظر فيض القدير شرح الجامع الصغير من أحاديث البشير النذير، للعلامة محمد عبد الرؤوف المناوي، ضبطه وصححه أحمد عبد السلام، دار الكتب العلمية بيروت – لبنان، الطبعة الأولىٰ، ١٤١٥ ه – ١٩٩٤ م، ٣/ ٦٤١.

(٢) ـ أخرجه: الطبراني في الأوسط(٥/ ٢٢٨)، حديث رقم: ٥١٦٢. والسيوطي في الجامع الصغير (١/ ١٩٧)، حديث رقم:٢٣٥٠. وحسنه الشيخ الألباني في صحيح الجامع الصغير(١/ ٤٣٢)، حديث رقم:٢١٦٤.

(٣) ـ ينظر التيسير بشرح الجامع الصغير، للإمام الحافظ زين الدين عبد الرؤوف المناوي، مكتبة الإمام الشافعي – الرياض، ١٤٠٨هـ – ١٩٨٨م، الطبعة الثالثة، ١/ ٦٦٤.

أخيه»[1].قال الإمام الصنعاني في شرح الحديث:" تفريج الكرب باب واسع يشمل إزالة كل ما ينزل بالعبد أو تخفيفه، فتفريج كربه يكون: إما بإعطائه من ماله إن كانت كربته من حاجة، أو بذل جاهه في طلبه له من غيره، أو قرضه، وإن كانت كربته من ظلم ظالم له فرجها بالسعي في رفعها عنه أو تخفيفها، وإن كانت كربة مرض أصابه أعانه علىٰ الدواء إن كان لديه، أو علىٰ طبيب ينفعه. أمَّا التيسير علىٰ المعسر فهو أبلغ وهو إنظاره لغريمه في الدين أو إبراؤه منه أو غير ذلك"[2].

ومنها قوله ﷺ عندما سُئل أي الأعمال أحب إلىٰ الله؟ قال: «**أحب الأعمال إلىٰ الله سرور تُدخله علىٰ مسلم، أو تكشف عنه كربةً، أو تقضي عنه دينًا، أو تطرد عنه جوعًا، ولأن أمشي مع أخٍ لي في حاجة أحب إلي من أن أعتكف في هذا المسجد - (يعني مسجد المدينة) - شهرًا، ومن كف غضبه، ستر الله عورته، ومن كظم غيظه، ولو شاء أن يمضيه أمضاه، ملأ الله عَزَّوَجَلَّ قلبه أمنًا يوم القيامة، ومن مشىٰ مع أخيه في حاجة حتىٰ أثبتها له، أثبت الله عَزَّوَجَلَّ قدمه علىٰ الصراط يوم تزل فيه الأقدام، وإنَّ سوء الخلق ليفسد العمل كما يفسد الخلُّ العسل**»[3]. فهذا الحديث بمثابة بيان شامل للأمة، عالج ﷺ فيه منظومة العلاقة بين المسلم وغيره، وما يكتنفها من أعمال خيرية، تسهم في الارتقاء بالمجتمعات، بحيث تتحول فيها الحياة إلىٰ نماذج تكاتفية يزداد إحساس المسلم فيها بغيره، فينشط إلىٰ صنائع

(١) ـ أخرجه: مسلم في صحيحه(٨/ ٧١)، كتاب:الذكر والدعاء والتوبة، باب: فضل الاجتماع علىٰ تلاوة القرآن، حديث رقم:٧٠٢٨، والإمام أحمد في مسنده(٢/ ٢٥٢).

(٢) ـ ينظر سبل السلام، لمحمد بن إسماعيل الأمير الكحلاني الصنعاني، مكتبة مصطفىٰ البابي الحلبي، الطبعة الرابعة، ١٣٧٩هـ/ ١٩٦٠م، ٤/ ١٦٩.

(٣) أخرجه: الطبراني في الأوسط(١٢/ ٤٥٣)، حديث رقم: ١٣٦٤٦. والهيثمي في مجمع الزوائد (٨/ ٣٤٩)، حديث رقم:١٣٧٠٨. وحسنه الشيخ الألباني في صحيح الجامع الصغير(١/ ٩٧)، حديث رقم:١٧٦.

المعروف اختيارًا بلا إجبار، وليس سعيًا إلىٰ شهرة أو انتصارٍ لمذهب سياسي أو توجه فكري؛ حتىٰ يكون التسابق إلىٰ عمل الخير ابتغاء محبة الله والرسول ﷺ.

ومنها قوله ﷺ في ملاطفة الأرامل والمساكين المنكسرين والإحسان إليهم: «**الساعي علىٰ الأرملة والمسكين كالمجاهد في سبيل الله، أو كالذي يصوم النهار ويقوم الليل**»(١). فقد شبه الحديث القائم علىٰ الأرملة والمسكين وما يصلحهما ويحفظهما بالمجاهد في سبيل الله؛ لأنَّ المداومة علىٰ ذلك تحتاج إلىٰ صبر ومجاهدة للنفس والشيطان. قال ابن البطال في شرحه للحديث:"من عجز عن الجهاد فىٰ سبيل الله وعن قيام الليل وصيام النهار، فليعمل بهذا الحديث وليسع علىٰ الأرامل والمساكين؛ ليحشر يوم القيامة فىٰ جملة المجاهدين فىٰ سبيل الله دون أن يخطو فىٰ ذلك خطوة، أو ينفق درهمًا، أو يلقىٰ عدوًا يرتاع بلقائه، أو ليحشر فىٰ زمرة الصائمين والقائمين وينال درجتهم وهو طاعم نهاره، نائم ليلة أيام حياته، فينبغىٰ لكل مؤمن أن يحرص علىٰ هذه التجارة التىٰ لاتبور، ويسعىٰ علىٰ أرملة أو مسكين لوجه الله –تعالىٰ–؛ فيربح فىٰ تجارته درجات المجاهدين والصائمين والقائمين من غير تعب ولانصب، ذلك فضل الله يوتيه من يشاء"(٢).

ومع حث النبي ﷺ المستمر بقضاء حوائج الناس، نجده كثيرا ما يحذِر من عدم قضائها مع الاستطاعة، ومن ذلك قوله ﷺ: «**ما من عبد أنعم الله عليه نعمة**

(١) متفق عليه. أخرجه: البخاري في صحيحه(٥/ ٢٢٣٧)، كتاب:الآداب، باب: الساعي علىٰ الأرملة، حديث رقم:٥٦٦٠. ومسلم في صحيحه(٨/ ٢٢١)، كتاب:الزهد والرقائق، باب:الإحسان إلىٰ الأرملة والمسكين واليتيم، حديث رقم:٧٦٥٩.

(٢) ـ شرح صحيح البخارىٰ ـ لابن بطال(أبو الحسن علي بن خلف بن عبد الملك بن بطال البكري القرطبي)، تحقيق : أبو تميم ياسر بن إبراهيم، مكتبة الرشد - السعودية / الرياض، ١٤٢٣هـ - ٢٠٠٣م، الطبعة الثانية،٩/ ٢١٨.

فأسبغها عليه إلا جعل إليه شيئا من حوائج الناس، فإن تبرم بهم فقد عرَّض تلك النعمة للزوال»[1]. وذكر المناوي في فيض القدير عن ابن الحنفية أنَّه كان يقول: "أيها الناس اعلموا أن حوائج الناس إليكم من نعم الله عليكم فلا تملوها فتتحول نقما، واعلموا أن أفضل المال ما أفاد ذخرا وأورث ذكرا وأوجب أجرا، ولو رأيتم المعروف رجلا لرأيتموه حسنا جميلا يسر الناظرين وبفوق العالمين"[2].

وقوله ﷺ: «**من أغلق بابه دون ذوي الحاجة و الخلة و المسكنة أغلق الله باب السماء دون خلته وحاجته وفقره و مسكنته**»[3].

(١) ـ أخرجه: البيهقي في شعب الإيمان(٦/ ١١٧)، حديث رقم:٧٦٦٠. والطبراني في الأوسط(٧/ ٢٩٢)، حديث رقم: ٧٥٢٩. والهيثمي في مجمع الزوائد (٨/ ٣٥١)، حديث رقم:١٣٧١٥، وقال عنه:"إسناده جيد".

(٢) ـ ينظر فيض القدير شرح الجامع الصغير من أحاديث البشير النذير، ٥/ ٥٨٢.

(٣) ـ أخرجه: الحاكم في المستدرك(٤/ ١٠٦)، كتاب:الأحكام، حديث رقم: ٧٠٢٨، وعلق الذهبي في التلخيص بأنه صحيح.

الفرع الثالث

موقع العمل الخيري في أقوال السلف

بعد أن ذكرنا جزءًا من أدلة العمل الخيري في القرآن والسنة، لابد لنا أن نعرج علىٰ بعض أقوال سلف الأمة الذين كانوا يجتهدون في قضاء حوائج الناس، وسنقتصر علىٰ بعض أقوالهم التي منها:

قول ابن عباس ﷺ: " من مشىٰ بحق أخيه ليقضيه؛ فله بكل خطوة صدقة" (١).

وعنه أيضًا:" لأن أعول أهل بيت من المسلمين شهرا أو جمعة أو ما شاء الله أحب إلي من حجة بعد حجة، ولطبق بدانق(٢) أهديه إلىٰ أخٍ لي في الله عَزَّوَجَلَّ أحب إلي من دينار أنفقه في سبيل الله عَزَّوَجَلَّ"(٣).

وقول حكيم بن حزام رَحِمَهُ ٱللَّهُ: " ما أصبحت وليس علىٰ بابي صاحب حاجة إلا علمت أنها من المصائب"(٤).

---

(١) جامع العلوم والحكم، لأبي الفرج عبد الرحمن بن أحمد بن رجب الحنبلي، دار المعرفة – بيروت، الطبعة الأولىٰ، ١٤٠٨هـ، ص٢٤٩.

(٢) ـ الدانق: سدس الدرهم. ينظر لسان العرب١٠/ ١٠٥، مادة:دنق.

(٣) ـ حلية الأولياء وطبقات الأصفياء،لأبي نعيم أحمد بن عبد الله الأصبهاني، دار الكتاب العربي – بيروت، الطبعة الرابعة، ١٤٠٥،١/ ٣٢٨.

(٤) ـ سير أعلام النبلاء، لشمس الدين أبي عبد الله محمد بن أحمد بن عثمان بن قَايْماز الذهبي (ت٧٤٨هـ)، دار الحديث. القاهرة، دون طبعة، ١٤٢٧هـ-٢٠٠٦م، ٣/ ٥١.

وقول عبيد الله بن العباس رَحِمَهُ ٱللَّهُ لابن أخيه: "إن أفضل العطية ما أعطيت الرجل قبل المسألة، فإذا سألك فإنما تعطيه ثمن وجهه حين بذَله إليك"(١).

وقول الحسن البصري رَحِمَهُ ٱللَّهُ: "لأن أقضي لأخٍ لي حاجةً أحب إليّ من أن أصلي ألف ركعة"(٢)، وفي رواية:" لأن أقضي لأخٍ لي حاجةً أحب إليّ من أن أعتكف شهرين"(٣).

وقول محمد بن المنكدر رَحِمَهُ ٱللَّهُ عندما سئل أي الأعمال أحب اليك؟. قال:" إدخال السرور علىٰ المؤمن"(٤).

وقول أبي عمر الزاهد رَحِمَهُ ٱللَّهُ:" ترك قضاء حقوق الإخوان مذلة، وفي قضاء حقوقهم رفعة، فاحمدوا الله علىٰ ذلك، وسارعوا في قضاء حوائجهم ومسارهم تكافئوا عليه"(٥).

وقول ابن القيم:" وقد دل العقل والنقل والفطرة وتجارب الأمم علىٰ اختلاف أجناسها ومللها ونحلها علىٰ أن التقرب إلىٰ رب العالمين وطلب مرضاته، والبر والإحسان إلىٰ خلقه من أعظم الأسباب الجالبة لكل خير، وأن أضدادها من أكبر الأسباب الجالبة لكل شر" .(٦).

(١) ـ قضاء الحوائج، لابن أبي الدنيا، ص ٤٢، رقم ٣٩.
(٢) ـ قضاء الحوائج، لابن أبي الدنيا، ص ٤٢، رقم ٣٧.
(٣) ـ قضاء الحوائج، لابن أبي الدنيا، ص ٤٢، رقم ٣٨.
(٤) ـ حلية الأولياء،٣/ ١٤٩.
(٥) ـ سير أعلام النبلاء، ١٥/ ٥١٠.
(٦) الجواب الكافي لمن سأل عن الدواء الشافي (الداء والدواء)، لمحمد بن أبي بكر أيوب الزرعي أبو عبد الله، دار الكتب العلمية – بيروت، ص١٠.

المطلب الثالث

خصائص العمل الخيري في الشريعة الإسلامية

وفيه:

- **الفرع الأول: دلالة نصوص الشريعة على شمولية العمل الخيري.**
- **الفرع الثاني: دلالة نصوص الشريعة على استمرارية العمل الخيري.**
- **الفرع الثالث: دلالة نصوص الشريعة على تنوع العمل الخيري.**

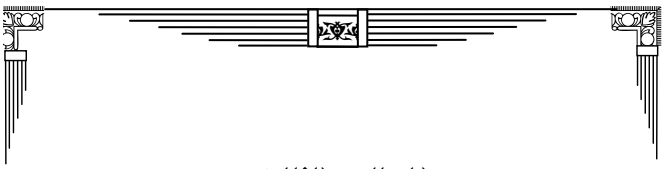

المطلب الثالث

خصائص العمل الخيري في الشريعة الإسلامية

إنّ الإسلام يعطي العمل الخيري قيمة أساسية، ويجعله محور التنافس في المجتمع. ويؤكّد القرآن الحكيم ويصرِّح بأنّ الذين يرثون الأرض هم الصالحون المصلحون، والصلاح ليس شيئاً جامداً، وإنّما حركة وعمل في الاتجاه الصحيح. وليس فقط في أمور الدين كالصلاة والصيام والزكاة والحجّ، وإنّما كلّ عمل يحكم العقل والدين بصلاحه، فبناء المساكن صلاح، وتعبيد الشوارع صلاح، وإقامة المصانع صلاح، وزراعة الأرض صلاح، وكلّ ما كان من شأنه عمارة الأرض فهو عمل صالح؛ ولذلك نجد أن الشريعة الإسلامية خصصت له مجموعة من المميزات والخصائص من جملتها: الشمولية، والاستمرارية، والتنوع في أصناف الخير.

الفرع الأول

دلالة نصوص الشريعة على شمولية العمل الخيري.

العمل الخيري الإسلامي ينطلق من مبادئ وقيم وأخلاقيات واضحة؛ فهو إغاثة وتربية وتعليم لا تحده حدود جغرافية أو سياسية؛ لأنه عقيدة ودين وعبادة لله بعيداً عن جوانب التسييس والاستغلال، وهو التزام بقوله - تعالىٰ -: ﴿إِنَّمَا نُطْعِمُكُمْ لِوَجْهِ ٱللَّهِ لَا نُرِيدُ مِنكُمْ جَزَآءً وَلَا شُكُورًا﴾ [الإنسان:٩].

فالعمل الخيري في الإسلام يختص بالشمولية، فالمسلم يقدم الخير والعون لكل من هو في حاجة إليه سواء أكان قريبا أم بعيدا، وسواء أكان صديقًا أم عدوًا، وسواء أكان مسلمًا أم كافرًا، وسواء أكان إنسانًا أم حيوانًا.

فالإسلام يحث المسلمين علىٰ تقديم الخير للأقرب فالقريب،كما في قوله تعالىٰ:﴿ يَسْـَٔلُونَكَ مَاذَا يُنفِقُونَ ۖ قُلْ مَآ أَنفَقْتُم مِّنْ خَيْرٍ فَلِلْوَٰلِدَيْنِ وَٱلْأَقْرَبِينَ وَٱلْيَتَٰمَىٰ وَٱلْمَسَٰكِينِ وَٱبْنِ ٱلسَّبِيلِ ۗ وَمَا تَفْعَلُوا۟ مِنْ خَيْرٍ فَإِنَّ ٱللَّهَ بِهِۦ عَلِيمٌ﴾ [البقرة:٢١٥].

ومن شمولية العمل الخيري في الإسلام أنه لم يمنع غير المسلم من خير المسلم، بل وجه القرآن الكريم المسلمين علىٰ تقديم الخير لمن يخالفونهم في الدين ما داموا مسالمين لهم. قال تعالىٰ:﴿لَّا يَنْهَىٰكُمُ ٱللَّهُ عَنِ ٱلَّذِينَ لَمْ يُقَٰتِلُوكُمْ فِى ٱلدِّينِ وَلَمْ يُخْرِجُوكُم مِّن دِيَٰرِكُمْ أَن تَبَرُّوهُمْ وَتُقْسِطُوٓا۟ إِلَيْهِمْ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلْمُقْسِطِينَ﴾ [الممتحنة:٨]، بل إن قيم العطاء والمعونات الإسلامية تقدم للعدو الأسير -وغالبًا يكون غير مسلم- دون

منٍّ أو أذىٰ:﴿وَيُطْعِمُونَ ٱلطَّعَامَ عَلَىٰ حُبِّهِۦ مِسْكِينًا وَيَتِيمًا وَأَسِيرًا﴾ [الإنسان:٨]، فمدح الله الذين يطعمون الأسير الكافر الذي كان محاربا ووقع في الأسر.

والعمل الخيري في الإسلام لم يقف عند الإنسان المكرم، بل تجاوزه ليصل إلىٰ الحيوان الأعجم الذي قال فيه الرسول ﷺ: «**اتَّقوا الله في هذه البهائم المعجمة، فاركبوها وكلوها صالحة**»(١).

وقال ﷺ في رحمة الناس بالبهائم: «**بينما رجل يمشي بطريق اشتد عليه العطش فوجد بئرا فنزل فيها فشرب ثم خرج فإذا كلب يلهث يأكل الثرىٰ من العطش**»، فقال الرجل: «**لقد بلغ هذا الكلب من العطش مثل الذي كان بلغ بي؛ فنزل البئر فملأ خفه ثم أمسكه بفيه فسقىٰ الكلب ؛فشكر الله له فغفر له**». قالوا يا رسول الله:"وإن لنا في البهائم أجرا؟" فقال:«**في كل ذات كبد رطبة أجر**»(٢). فالإحسان إلىٰ كل مخلوق ذي حياة هو من أعمال الخير التي يكافئ الله عَزَّوَجَلَّ عليها بالثواب العظيم(٣).

(١) أخرجة: أبو داود في سننه(٢/ ٣٢٨)، كتاب:الجهاد، باب:ما يؤمر به من القيام علىٰ الدواب، حديث رقم:٢٥٥٠. والسيوطي في الجامع الصغير(١/ ١٠)، حديث رقم:١٢٠. وصححه الشيخ الألباني في صحيح الجامع الصغير(١/ ٨٢)، حديث رقم:١٠٤.

(٢) متفق عليه أخرجه: البخاري في صحيحه(٥/ ٢٢٣٨)، كتاب:الآداب، باب: رحمة الناس والبهائم، حديث رقم:٥٦٦٣. ومسلم في صحيحه(٨/ ٢٢١)، كتاب:الزهد والرقائق، باب:الإحسان إلىٰ الأرملة والمسكين واليتيم، حديث رقم:٧٦٥٩.

(٣) ـ ينظر العمل الخيري ودوره في التنمية الاقتصادية من منظور إسلامي "دراسة حالة قطاع غزة"، رسالة ماجستير مقدمة من الطالب: محمد إبراهيم أبو عليان، الجامعة الإسلامية غزة، ٢٠١٤م، ص ٥٦.

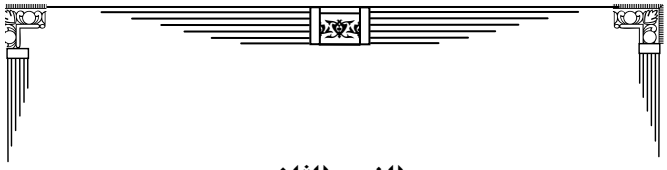

الفرع الثاني

دلالة نصوص الشريعة على استمرارية العمل الخيري

من خصائص العمل الخيري في الإسلام الاستمرارية؛ لأنَّ فعل الخير عند المسلم: **إمَّا فريضة دورية** يلزمه أداؤها بحكم إسلامه، كزكاة المال الواجبة كل حول كما قال تعالىٰ: ﴿إِنَّمَا ٱلصَّدَقَٰتُ لِلْفُقَرَآءِ وَٱلْمَسَٰكِينِ وَٱلْعَٰمِلِينَ عَلَيْهَا وَٱلْمُؤَلَّفَةِ قُلُوبُهُمْ وَفِى ٱلرِّقَابِ وَٱلْغَٰرِمِينَ وَفِى سَبِيلِ ٱللَّهِ وَٱبْنِ ٱلسَّبِيلِ ۖ فَرِيضَةً مِّنَ ٱللَّهِ ۗ وَٱللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ﴾ [التوبة:٦٠] والمقصود بالصدقات في الآية الزكاة الواجبة، وكزكاة الزروع والثمار الواجبة عند كل حصاد كما قال تعالىٰ: ﴿وَءَاتُوا۟ حَقَّهُۥ يَوْمَ حَصَادِهِۦ ۖ﴾ [الأنعام:١٤١]، وكزكاة الفطر الواجبة عند مقدم كل عيد فطر، فعن عبد الله بن عمر أن رسول الله ﷺ «**فرض زكاة الفطر من رمضان علىٰ كل نفس من المسلمين**»(١).

أو فريضة غير دورية وهي: كل حق مالي يجب بوجوب المقتضىٰ له، كحقوق أولي القربىٰ لقوله –تعالىٰ–:﴿فَـَٔاتِ ذَا ٱلْقُرْبَىٰ حَقَّهُۥ وَٱلْمِسْكِينَ وَٱبْنَ ٱلسَّبِيلِ ۚ ذَٰلِكَ خَيْرٌ لِّلَّذِينَ يُرِيدُونَ وَجْهَ ٱللَّهِ ۖ وَأُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُفْلِحُونَ﴾ [الروم:٣٨] ، والنفقة علىٰ المعسر لقوله ﷺ: «**من سره أن ينجيه الله من كرب يوم القيامة فلينفس عن معسرٍ أو يضع**

(١) أخرجه مسلم في صحيحه(٣/ ٦٩)، كتاب:الزكاة، باب:زكاة الفطر علىٰ المسلمين، حديث رقم:٢٣٢٩.

عنه»[1]، وإطعام الجار لجاره الجائع إذا جاع وهو بجانبه لقوله ﷺ:«**ليس بمؤمن من بات شبعان وجاره جنبه جائع وهو يعلم**»[2].

أو صدقات جارية مستحبة لعموم قوله ﷺ: «**اتقوا النار ولو بشق تمرة، فمن لم يجد فبكلمة طيبة**»[3]. ولا شك في أن المقصود من هذه الأعمال الخيرية المشاركة في تخفيف المعاناة عن المحتاجين، حتىٰ ولو بالأمور المعنوية مثل الكلمة الطيبة[4]. واستمرارية العمل الخير ليس فقط في العطاء، بل في الأجر والثواب كذلك، لقوله ﷺ: «**فلا يغرس المسلم غرسًا فيأكل منه إنسان ولا دابة ولا طير إلا كان له صدقة إلىٰ يوم القيامة**»[5]. ففضيلة أجر فاعل الخير مستمرة ما دام الغرس والزرع وما تولد منه إلىٰ يوم القيامة.

(١) أخرجه: مسلم في صحيحه(٥/ ٣٣)، كتاب:المساقاة، باب:فضل إنظار المعسر، حدريث رقم: ٤٠٨٣.

(٢) أخرجه:الهيثمي في مجمع الزوائد (٨/ ٣٠٥)، حديث رقم:١٣٥٥٤، وقال عنه:"إسناده حسن". والسيوطي في الجامع الصغير(٢/ ٢٦٣)، حديث رقم:٧٧٧١.

(٣) متفق عليه أخرجه: البخاري في صحيحه(٥/ ٢٢٤١)، كتاب:الآداب، باب: طيب الكلام، حديث رقم:٥٦٧٧. ومسلم في صحيحه(٣/ ٨٦)، كتاب:الزكاة، باب:الحث علىٰ الصدقة ولو بشق ثمرة، حديث رقم:٢٣٩٦.

(٤) ينظر العمل الخيري دراسة تأصيلية تاريخية، بحث مقدم من د.محمد صالح جواد مهدي، ص٢١٥.

(٥) ـ أخرجه مسلم في صحيحه(٥/ ٢٨)، كتاب:المساقات، باب:فضل الغرس والزروع، حديث رقم:٤٠٥٣. والترمذي في سننه(٣/ ٦٦٦)، كتاب:الأحكام، باب:فضل الغرس، حديث رقم:١٣٨٢، وقال عنه:"حديث حسن صحيح".

الفرع الثالث

دلالة نصوص الشريعة على تنوع العمل الخيري

لا يأخذ فعل الخير صورة واحدة، ولا نمطًا واحدًا، بل تتعدد صوره، وتتنوع أنماطه، بحسب حاجات الناس ومطالبهم، وبحسب قدرة فاعل الخير وإمكاناته؛ لذلك ذكره الله بصفة الجمع في العديد من الآيات القرآنية كقوله -تعالىٰ-: ﴿فَٱسْتَبِقُواْ ٱلْخَيْرَٰتِ﴾ [البقرة:١٤٨]، وقوله -سبحانه-: ﴿إِنَّهُمْ كَانُواْ يُسَٰرِعُونَ فِى ٱلْخَيْرَٰتِ﴾ [الأنبياء:٩٠]، وقوله ﷺ في كثرة وجوه الخير: «**من أصبح منكم اليوم صائما**»؟ قال أبو بكر رضي الله عنه: أنا. قال: «**فمن أطعم منكم اليوم مسكينًا**»؟ قال أبو بكر رضي الله عنه: أنا. قال: «**فمن عاد منكم اليوم مريضًا**»؟ قال أبو بكر رضي الله عنه: أنا. فقال رسول الله ﷺ: «**ما اجتمعن في امرئ إلاّ دخل الجنة**»(١)، فقد نوع الله في وجوه الخير كما نوع في العبادات وسائر الطاعات؛ حتىٰ لا يمل الناس، فلو كان الخير طريقا واحدًا؛ لمل الناس من ذلك وسئموا، فطرق الخير متنوعة منها:

ما يعمل علىٰ تحقيق المطالب الفكرية، والقدرة علىٰ الإصلاح الاجتماعي والأسري، وهذا الأمر هو من أعظم أنواع العمل الخيري؛ لأنَّه ثمرة جهد بدني وزماني ومالي قام به صاحبه في زمن سابق، ثم تطوع بالدعوة إليه، ونجد هذا جليًا واضحا في أمر الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ هذه الأمة بالدعوة إلىٰ الخير في قوله: ﴿وَلْتَكُن

(١) ـ أخرجه مسلم في صحيحه(٣/ ٩٢)، كتاب:الزكاة، باب:من جمع الصدقة وأعمال الخير، حديث رقم:٢٤٢١.

مِّنكُمْ أُمَّةٌ يَدْعُونَ إِلَى الْخَيْرِ وَيَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنكَرِ ۚ وَأُولَٰئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ ﴾ [آل عمران:١٠٤]، وفي تفضيل النبي ﷺ لمعلم الناس الخير عن العابد الزاهدفي قوله: «**فضل العالم علىٰ العابد كفضلي علىٰ أدناكم**»، ثم قال رسول الله ﷺ:«**إن الله وملائكته وأهل السموات والأرضين، حتىٰ النملة في جحرها، وحتىٰ الحوت، ليصلون علىٰ معلم الناس الخير**»(١). بل يعد تعليم الناس الخير في الوقت الحاضر أفضل الأعمال المتعدية للخلق، أفضل من الصدقة، وأفضل من الجهاد، وقد ساوىٰ النبي ﷺ في الأجر بين فاعل الخير والدال عليه حين قال:«**الدال علىٰ الخير كفاعله**»(٢).

ومنها: ما يعمل علىٰ تحقيق المطالب المادية للإنسان، وهذا يُعد من أعظم القربات التي تسد ثغرة الحاجة في شرائح المجتمع، والقرآن الكريم قد بين للمؤمنين طرق الإنفاق وأرشدهم إليها، فقال تعالىٰ:﴿ يَسْـَٔلُونَكَ مَاذَا يُنفِقُونَ ۖ قُلْ مَآ أَنفَقْتُم مِّنْ خَيْرٍ فَلِلْوَٰلِدَيْنِ وَٱلْأَقْرَبِينَ وَٱلْيَتَٰمَىٰ وَٱلْمَسَٰكِينِ وَٱبْنِ ٱلسَّبِيلِ ۗ وَمَا تَفْعَلُوا۟ مِنْ خَيْرٍ فَإِنَّ ٱللَّهَ بِهِۦ عَلِيمٌ ﴾ [البقرة:٢١٥].

وفي مقابل حث الله تعالىٰ علىٰ الإنفاق نجده قد ذم من ترك الحض علىٰ التطوع بالمال جملة، حيث قال:﴿ إِنَّهُۥ كَانَ لَا يُؤْمِنُ بِٱللَّهِ ٱلْعَظِيمِ ﴿٣٣﴾ وَلَا يَحُضُّ عَلَىٰ طَعَامِ

(١) ـ أخرجه الترمذي في سننه(٥/ ٥٠)، كتاب:العلم، باب:فضل الفقه علىٰ العبادة، حديث رقم:٢٦٨٥. وصححه الشيخ الألباني في صحيح الجامع الصغير(٢/ ٧٧٦)، حديث رقم:٤٢١٣.

(٢) ـ أخرجه الترمذي في سننه(٥/ ٤١)، كتاب:العلم، باب:فضل الدال علىٰ الخير كفاعله، حديث رقم:٢٦٧٠. وصححه الشيخ الألباني في صحيح الجامع الصغير(١/ ٦٤٠)، حديث رقم:٣٣٩٩.

﴿ٱلۡمِسۡكِينِ﴾ [الحاقة:٣٣-٣٤]، وقال:﴿أرأيت الذي يكذب بالدين فذلك الذي يدع اليتيم ولا يحض علىٰ طعام المسكين﴾ [الماعون:١-٣]، فجعل ترك الحض علىٰ طعام المسكين جملة من صفات الكافرين الذين استحقوا النار -والعياذ بالله-.

وأكثر من ذلك أن جعل الله التطوع في ترك أخذ أموال الدين عن المعسرين من أفضل أعمال الخير، وجعله شكلاً من أشكال الإنفاق الذي يغفل عن تحقيقه كثير من أصحاب الديون، حيث قال عَزَّوَجَلَّ:﴿وَإِن كَانَ ذُو عُسۡرَةٖ فَنَظِرَةٌ إِلَىٰ مَيۡسَرَةٖۚ وَأَن تَصَدَّقُواْ خَيۡرٞ لَّكُمۡۖ إِن كُنتُمۡ تَعۡلَمُونَ﴾ [البقرة:٢٨٠] (١).

ومن وجوه العمل الخيري: ما يعمل علىٰ تحقيق المطالب النفسية للإنسان كإدخال السرور عليه، ومسح دمعته، ومعالجة قلقه وهمه، وحث نفسه علىٰ التوكل والثقة بالله مهما كان العمل صغيرا؛ لقوله ﷺ: «**لا تحقرنَّ من المعروف شيئا ولو أن تعطي صِلة الحبل، ولو أن تعطي شسع النعل، ولو أن تنزع من دلوك في إناء المستسقي، ولو أن تنحي الشيء من طريق الناس يؤذيهم، ولو أن تلقىٰ أخاك، ووجهك إليه منطلق، ولو أن تلقىٰ أخاك فتسلم عليه، ولو أن تؤنس الوحشان في الأرض**»(٢)، بل رتب الله علىٰ صغائر الأعمال الخيرية عظيم الأجر قال ﷺ:«**لقد رأيت رجلاً يتقلب في الجنة في شجرة قطعها من ظهر الطريق، كانت تؤذي الناس**»(٣)، ففي هذا الحديث دليل علىٰ فضيلة إزالة الأذىٰ عن الطريق، وأنه

(١) ـ ينظر التطوع في القرآن الكريم مفهومه شروطه مجالات تأصيله، بحث مقدم من المثنىٰ عبد الفتاح محمود، مجلة دراسات في علوم الشريعة والقانون، المجلد ٤١، ملحق١، ٢٠١٤، ص٣٧٦. والآية من سورة البقرة/ ٢٨٠.

(٢) ـ أخرجه الإمام أحمد في مسنده(٣/ ٤٨٢)، حديث رقم:١٥٩٩٧. وقال شعيب الأرنؤوط في التعليق عليه:"إسناده صحيح رجاله ثقات رجال الصحيح".

(٣) ـ أخرجه مسلم في صحيحة(٨/ ٣٤)، كتاب:البر والصلة والآداب، باب:فضل إزالة الأذىٰ =

سبب لدخول الجنة.

ومن وجوه العمل الخيري الصدقة التي نوع فيها الشرع تنويعا يشمل من أنواع الخير ما لا يخطر ببال الكثيرين لقوله ﷺ: «**كُلُّ مَعْرُوفٍ صَدَقَةٌ**»(١).

فالأمر بالمعروف والنهي عن المنكر صدقة، والتسبيح والتحميد والتهليل والتكبير صدقة، قال رسول الله ﷺ: «**يصبح علىٰ كل سلامىٰ من أحدكم صدقة، فكل تسبيحة صدقة، وكل تحميدة صدقة، وكل تهليلة صدقة، وكل تكبيرة صدقة، وأمرٌ بالمعروف صدقة، ونهيٌ عن المنكر صدقة**»(٢).

والعدل بين الاثنين صدقة، وإعانة الناس صدقة، والكلمة صدقة، والخطىٰ إلىٰ المسجد صدقة، وإماطة الأذىٰ عن الطريق صدقة، لقوله ﷺ: «**علىٰ كل سلامىٰ من الناس صدقة، كل يوم تطلع فيه الشمس يعدل بين اثنين صدقة، ويعين الرجل في دابته ويحمل عليها أو يرفع له عليها متاعه صدقة، والكلمة الطيبة صدقة، وكل خطوة يمشيها إلىٰ الصلاة صدقة، ويميط الأذىٰ عن الطريق صدقة**»(٣)، فكل

=

عن الطريق، حديث رقم:٦٨٣٧.

(١) ـ متفق عليه. أخرجه البخاري(٥/ ٢٢٤١)، كتاب:الأدب، باب: كل معروف صدقة، حديث رقم:٥٦٧٠. ومسلم (٣/ ٨٢)، كتاب:الزكاة، باب: بيان أن اسم الصدقة يقع علىٰ كل نوع من المعروف، حديث رقم:٢٣٧٥.

(٢) ـ أخرجه مسلم في صحيحه(٢/ ١٥٨)، كتاب:صلاة المسافرين، باب: استحباب صلاة الضحىٰ، حديث رقم:١٧٠٤.

(٣) ـ متفق عليه. أخرجه لبخاري في كتاب(٣/ ١٠٩٠)، كتاب:الجهاد والسير، باب: من أخذ بالركاب ونحوه، حديث رقم:٢٨٢٧. ومسلم (٣(٨٣)، كتاب:الزكاة، باب:بيان أن اسم الصدقة يقع علىٰ كل معروف، حديث رقم:٢٣٨٢.

معروف صدقة[1].

وختاما أقول: لقد خلق الله عَزَّوَجَلَّ الإنسان وجعله خليفة له في الأرض، بل أمر الملائكة بالسجود له، وفي ذلك دلالة علىٰ جعل هذا المخلوق أحد أهم عناصر ومكونات الحياة علىٰ ظهر الأرض، قال تعالىٰ: ﴿وَإِذْ قَالَ رَبُّكَ لِلْمَلَٰٓئِكَةِ إِنِّي جَاعِلٌ فِي ٱلْأَرْضِ خَلِيفَةً﴾ [البقرة:٣٠].

فالحقيقة الكبرىٰ التي اختصه الله بها دون باقي مكونات الحياة علىٰ ظهر الأرض، هي عمارة الأرض، والنهوض بها لمستوًىٰ لائق بإقامة مجتمع فاضل يسوده الحب والمودة والسعي في تحقيق الحياة الكريمة له، وإقامة حضارة إنسانية راقية تتمثل في عمل إنساني أساسه العمل الخيري الذي هو مقصد عام من مقاصد الشريعة، بل هو أم المقاصد وعمادها؛ لأنَّ الشريعة مبناها وأساسها علىٰ الحكم ومصالح العباد في المعاش والمعاد، فالله أمر بكل خير دقه وجُلّه، وزجر عن كل شر دقّه وجُلّه. فإن الخير يعبر به عن جلب المصالح ودرء المفاسد، والشر يعبر به عن جلب المفاسد ودرء المصالح، وهذا من أهم مقاصد الشريعة.

(١) ـ أصول العمل الخيري في الإسلام، ليوسف القرضاوي، ص٣٧ ـ ٤٠.

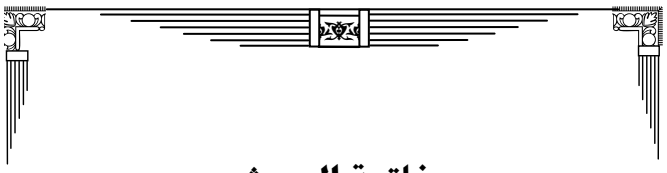

خاتمة البحث

الحمد لله وحده، والصلاة والسلام علىٰ من لا نبي بعده محمد ﷺ، وعلىٰ آله وصحبه وسلم تسليمًا كثيرا. **وبعد:**

فقد بينت الشريعة الإسلامية مدىٰ اهتمام الإسلام بالعمل الخيري في جميع مجلاته، وقد توصلتُ من خلال البحث إلىٰ النتائج الآتية:

- إنَّ مفهوم العمل الخيري مفهوم واسع لا يقتصر علىٰ مجرد تقديم المساعدات المادية والعينية؛ فطرق الخير كثيرة ومتنوعة.

- إنَّ العمل الخيري يكتسب الأصلية الشرعية بالأدلة المتنوعة من الكتاب والسنة.

- يتسم العمل الخيري في الشريعة الإسلامية بالشمولية والاستمرارية والتنوع.

- الشريعة الإسلامية تعطي العمل الخيري القيمة الأساسية، وتجعله محور التنافس في المجتمع، وأساس الفلاح في الدنيا والآخرة.

وأخيرًا: وعلىٰ ضوء كل ما سبق تتضح حقيقة أن العمل الخيري هو مقصد عام من مقاصد الشريعة، بل هو من أهم المقاصد وعمادها؛ لأنَّ الشريعة مبناها وأساسها علىٰ الحكم ومصالح العباد في المعاش والمعاد، فالله أمر بكل خير دقه وجُلّه، وزجر عن كل شر دقّه وجُلّه. فإن الخير يعبر به عن جلب المصالح ودرء

المفاسد، والشر يعبر به عن جلب المفاسد ودرء المصالح، وهذا من الخصائص التي ترمي إليها الشريعة.

وفي الختام أسأل المولىٰ جَلَّوَعَلَا أن يجعل هذا العمل خالصا لوجهه الكريم، وأن يرزقني الإخلاص في القول والعمل، وصلىٰ الله علىٰ نبينا محمد وعلىٰ آلِهِ وصحبه أجمعين.

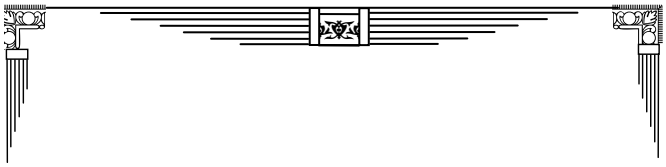

مصادر البحث ومراجعه

١. أصول العمل الخيري في الإسلام في ضوء النصوص والمقاصد الشرعية، للشيخ يوسف القرضاوي، دار الشروق، الطبعة الثانية، ٢٠٠٨.

٢. أصول العمل الخيري في الإسلام، ليوسف القرضاوي، دار الشروق، ط/ ٢. ٢٠٠٨.

٣. تاج العروس من جواهر القاموس، لمحمّد بن محمّد بن عبد الرزّاق الحسيني، أبي الفيض، الملقّب بمرتضىٰ، الزَّبيدي، تحقيق مجموعة من المحققين، دار الهداية.

٤. التطوع في القرآن الكريم مفهومه شروطه مجالات تأصيله، بحث مقدم من المثنىٰ عبد الفتاح محمود، مجلة دراسات في علوم الشريعة والقانون، المجلد ٤١، ملحق١، ٢٠١٤م.

٥. تفسير التحرير والتنوير ـ الطبعة التونسية، للشيخ محمد الطاهر بن عاشور، دار سحنون للنشر والتوزيع – تونس – ١٩٩٧م.

٦. تفسير القرآن العظيم، لأبي الفداء إسماعيل بن عمر بن كثير القرشي الدمشقي، تحقيق: سامي بن محمد سلامة، دار طيبة للنشر والتوزيع، الطبعة الثانية، ١٤٢٠هـ – ١٩٩٩ م.

٧. تفسير القرآن، لأبي المظفر منصور بن محمد بن عبد الجبار السمعاني،

تحقيق: ياسر بن إبراهيم و غنيم بن عباس بن غنيم، دار الوطن – الرياض، ١٤١٨هـ- ١٩٩٧م.

٨. التوقيف علىٰ مهمات التعاريف، لمحمد عبد الرؤوف المناوي، تحقيق: د. محمد رضوان الداية، دار الفكر المعاصر، دار الفكر - بيروت.دمشق، الطبعة الأولىٰ، ١٤١٠هـ.

٩. التيسير بشرح الجامع الصغير، للإمام الحافظ زين الدين عبد الرؤوف المناوي، مكتبة الإمام الشافعي – الرياض، ١٤٠٨هـ - ١٩٨٨م، الطبعة الثالثة.

١٠. الجامع الصحيح المختصر، لأبي محمد بن إسماعيل أبو عبدالله البخاري الجعفي، تحقيق: د. مصطفىٰ ديب البغا، دار ابن كثير، اليمامة – بيروت، الطبعة الثالثة، ١٤٠٧ – ١٩٨٧م.

١١. الجامع الصحيح المسمىٰ صحيح مسلم، لأبي الحسين مسلم بن الحجاج بن مسلم القشيري النيسابوري، دار الجيل بيروت ودار الأفاق الجديدة ـ بيروت.

١٢. الجامع الصحيح سنن الترمذي، لمحمد بن عيسىٰ أبو عيسىٰ الترمذي السلمي، تحقيق: أحمد محمد شاكر وآخرون، دار إحياء التراث العربي – بيروت.

١٣. جامع العلوم والحكم، لأبي الفرج عبد الرحمن بن أحمد بن رجب الحنبلي، دار المعرفة – بيروت، الطبعة الأولىٰ، ١٤٠٨ه.

١٤. الجامع لأحكام القرآن، لأبي عبد الله محمد بن أحمد بن أبي بكر بن فرح الأنصاري الخزرجي شمس الدين القرطبي، تحقبق هشام سمير البخاري، دار عالم الكتب، الرياض، المملكة العربية السعودية، ١٤٢٣ هـ/ ٢٠٠٣ م.

١٥. الجواب الكافي لمن سأل عن الدواء الشافي (الداء والدواء)، لمحمد بن أبي بكر أيوب الزرعي أبو عبد الله، دار الكتب العلمية – بيروت.

١٦. حلية الأولياء وطبقات الأصفياء،لأبي نعيم أحمد بن عبد الله الأصبهاني، دار الكتاب العربي – بيروت، الطبعة الرابعة.

١٧. سبل السلام، لمحمد بن إسماعيل الأمير الكحلاني الصنعاني، مكتبة مصطفىٰ البابي الحلبي، الطبعة الرابعة، ١٣٧٩هـ/ ١٩٦٠م.

١٨. سنن أبي داود، لأبي داود سليمان بن الأشعث السجستاني، دار الكتاب العربي - بيروت

١٩. سير أعلام النبلاء، لشمس الدين أبي عبد الله محمد بن أحمد بن عثمان بن قَايْماز الذهبي (ت٧٤٨هـ)، دار الحديث. القاهرة، دون طبعة، ١٤٢٧هـ-٢٠٠٦م.

٢٠. شرح صحيح البخارىٰ - لابن بطال(أبو الحسن علي بن خلف بن عبد الملك بن بطال البكري القرطبي)، تحقيق: أبو تميم ياسر بن إبراهيم، مكتبة الرشد - السعودية / الرياض، ١٤٢٣هـ - ٢٠٠٣م، الطبعة الثانية.

٢١. شعب الإيمان، لأبي بكر أحمد بن الحسين البيهقي، تحقيق: محمد السعيد بسيوني زغلول، دار الكتب العلمية – بيروت، الطبعة الأولىٰ، ١٤١٠هـ.

٢٢. صحيح الجامع الصغير وزيادة الفتح الكبير، لمحمد ناصر الدين الألباني، المكتب الإسلامي، الطبعة الثالثة، ١٤٠٨هـ- ١٩٨٨م، بيروت. لبنان.

٢٣. العمل الخيري دراسة تأصيلية تاريخية، بحث مقدم من د.محمد صالح جواد مهدي، مجلة سر من رأي للدراسات الإنسانية، مجلد٨/ العدد٣٠/ السنة الثامنة/ تموز٢٠١٣م.

٢٤. العمل الخيري دراسة تأصيلية تاريخية، بحث مقدم من د.محمد صالح جواد مهدي.

٢٥. العمل الخيري ودوره في التنمية الاقتصادية من منظور إسلامي "دراسة حالة قطاع غزة"، رسالة ماجستير مقدمة من الطالب: محمد إبراهيم أبو عليان، الجامعة الإسلامية غزة، ٢٠١٤م.

٢٦. العمل الخيري: مفهومه وموقعه من مقاصد الشريعة، بحث مقدم من أ.د. إبراهيم البيومي غانم، ٢٠١٧ مجلة قضايا فكرية، العدد ١٤.

٢٧. فيض القدير شرح الجامع الصغير من أحاديث البشير النذير، للعلامة محمد عبد الرؤوف المناوي، ضبطه وصححه أحمد عبد السلام، دار الكتب العلمية بيروت – لبنان، الطبعة الأولىٰ، ١٤١٥ ه - ١٩٩٤ م.

٢٨. قضاء الحوائج، لابن أبي الدنيا(أبي بكر بن عبد الله بن محمد بن عبيد بن سفيان)، تحقيق: محمد عبد القادر أحمد عطا، مؤسسة الكتاب الثقافية، بيروت-لبنان، الطبعة الأولىٰ، ١٤١٣هـ-١٩٩٣م.

٢٩. قواعد الوسائل وأثرها في تنمية العمل الخيري، بحث مقدم من د.قطب الريسوني إلىٰ مؤتمر العمل الخيري الخليجي الثالث، دائرة الشؤون الإسلامية والعمل الخيري بدبي، ٢٠٠٨م.

٣٠. كشف الخفاء ومزيل الإلباس عما اشتهر من الأحاديث علىٰ ألسنة الناس، للعجلوني (إسماعيل بن محمد الجراحي)، دار الكتب العلمية بيروت – لبنان، الطبعة الثالثة، ١٩٨٨ م - ١٤٠٨ هـ.

٣١. لسان العرب، لمحمد بن مكرم بن منظور الأفريقي المصري، دار صادر – بيروت، الطبعة الأولىٰ.

٣٢. مجمع الزوائد ومنبع الفوائد، لنور الدين علي بن أبي بكر الهيثمي، دار الفكر، بيروت، ١٤١٢ هـ.

٣٣. المستدرك علىٰ الصحيحين، لمحمد بن عبدالله أبي عبدالله الحاكم النيسابوري، تحقيق: مصطفىٰ عبد القادر عطا، دار الكتب العلمية – بيروت، الطبعة الأولىٰ، ١٤١١هـ – ١٩٩٠م.

٣٤. مسند الإمام أحمد بن حنبل، لأحمد بن حنبل أبي عبدالله الشيباني، مؤسسة قرطبة – القاهرة.

٣٥. مسند الشهاب، لمحمد بن سلامة بن جعفر أبو عبد الله القضاعي، تحقيق: حمدي بن عبد المجيد السلفي، مؤسسة الرسالة – بيروت، الطبعة الثانية، ١٤٠٧ – ١٩٨٦.

٣٦. المصباح المنير في غريب الشرح الكبير للرافعي، لأحمد بن محمد بن علي المقري الفيومي، المكتبة العلمية – بيروت.

٣٧. المعجم الأوسط، لأبي القاسم سليمان بن أحمد الطبراني، تحقيق: طارق بن عوض الله بن محمد،عبد المحسن بن إبراهيم الحسيني، دار الحرمين – القاهرة، ١٤١٥هـ.

٣٨. المعجم الوسيط، لإبراهيم مصطفىٰ ـ أحمد الزيات ـ حامد عبد القادر ـ محمد النجار، تحقيق / مجمع اللغة العربية، دار الدعوة.

٣٩. مفاتيح الغيب، للإمام فخر الدين محمد بن عمر التميمي الرازي الشافعي، دار الكتب العلمية – بيروت – ١٤٢١هـ – ٢٠٠٠ م، الطبعة الأولىٰ.

٤٠. مقاصد الشريعة الإسلامية، لمحمد الطاهر بن عاشور، تقديم دار الكتاب اللبناني، ٢٠١١م

٤١. ومقاصد الشريعة الإسلامية ومكارمها، لعلال الفاسي، دار الغرب الإسلامي، الطبعة الخامسة، ١٩٩١م.

٤٢. مقاصد الشريعة الإسلامية وعلاقتها بالأدلة الشرعية، لمحمد سعد بن أحمد بن مسعود اليوبي، دار الهجرة للنشر والتوزيع، الطبعة الأولىٰ، ١٤١٨هـ-١٩٩٨م.

٤٣. يتيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان، لعبد الرحمن بن ناصر بن السعدي، تحقيق: عبد الرحمن بن معلا اللويحق، مؤسسة الرسالة، الطبعة الأولىٰ، ١٤٢٠هـ-٢٠٠٠ م.